إذا قـيـلَ : مَـنْ لـلـمُـعْـضِـلاتِ؟ أجـابـهُ
عِـظـامُ الـلُّـهَـى مـنّـا طِـوَالُ الـسّـوَاعِـدِ[١]

لا عيب علي ولا ملام!

كان عمارة بن زياد العبسي قد خطب عبلة من أبيها مالك بحضور جماعة من سادات عبس، وكان مالك وولده عمرو يحبان عمارة ويرغبان في مصاهرته لغناه وشهرته، فأجاباه إلى ذلك بعدما كانا قد عاهدا عنترة على زواجها، فقال عنترة في ذلك:

[الوافر]

إذا جَـحَـد الـجَـمـيـلَ بـنُـو قُـرَادٍ،
وَجـازَى بـالـقـبـيـحِ بَـنُـو زِيـادِ[٢]
فَـهُـمْ سَـادَاتُ عَـبْـسٍ أيـنَ حَـلّـوا
كـمـا زَعَـمـوا وَفُـرْسـانُ الـبـلادِ[٣]
وَلا عَـيْـبٌ عَـلَـيّ، وَلا مَـلامٌ،
إذا أصْـلَـحْـتُ حـالـي بـالـفَـسَـادِ[٤]

(١) اللُّهى، مفردها لهية: الهبة. طوال السواعد: كناية عن كرمهم. ثمة من يحتاج لحلّ مشاكل الناس، سواء أكانت مشاكل اقتصادية، أم اجتماعية إنسانية، فهناك من يتصدّى لها دون تردد برحابة صدر فيبادر هؤلاء بأموالهم بسبب ما جُبلوا عليه من حبّ الخير، أو بقوّتهم أو بعلمهم أو...

(٢)، (٣) جحد: كفر، أنكر. لقد كوفئ عنترة على حسن أفعُل قدّمتها لقبيلته بكفران وجحود من قبل بني قُراد وبني زياد وكان عملهم قبيحاً يستحقّ التنديد. إنهم يدّعون أنهم سادات عبس حيثما كانوا، ويدّعون أنهم فرسان ينتشر صيتهم في كلّ مكان.

(٤) كان الشاعر يقدم لقومه ما يُصلح أحوالهم، لقد حقّ له أن يفعل ما يشاء =

فَـإِنّ الـنّـارَ تُـضْـرَمُ فـي جَـمَـادِ،
إذا مـا الـصّـخْـرُ كـرّ عَـلـى الـزِّنَـادِ[١]
وَيُـرْجـى الـوَصْـلُ بَـعْـدَ الـهَـجْـرِ حـيـنـاً،
كَـمـا يُـرْجـى الـدّنُـوُّ مِـنَ الـبِـعـادِ[٢]
حَـلُـمْـتُ فَـمـا عَـرَفْـتُـم حَـقّ حـلْـمـي
وَلا ذَكَـرَتْ عَـشـيـرَتُـكُـمْ ودادي[٣]
سـأجـهَـلُ بَـعْـدَ هـذا الـحـلـم، حـتـى
أُرِيـقَ دَمَ الـحَـوَاضِـرِ وَالـبَـوَادِي[٤]
وَيَـشـكـو الـسّـيـفُ مـن كَـفّـي مَـلالاً
وَيَـسْـأمُ عَـاتِـقـي حَـمْـلَ الـنِّـجَـادِ[٥]

= لقاء ما فعلوه معه من إخلاف الوعد، وهذا يعدّ منقصة بحقهم. لذا فلا يحقّ لأحد أن يعيب عليه ما سيفعله ولا يحقّ لأحد أن يلومه إذا بادلهم شيئاً بشيء.

(١) إن الشاعر هادئ يكاد يكون جماداً وصخراً لا يهتم، ولكن شبّت النار وبدأت تنزلق بسرعة جنونية من أعلى إلى أسفل حتى أدركت مشعلها.

(٢) إنهم يرجون ويبغون عودة المياة إلى مجاريها فيكون وصل، تماماً يتمنّى البعداء العودة إلى أوطانهم بلهفة وشوق.

(٣) لقد قدّم الشاعر حلماً على الضعفاء، وهو القويّ القادر على ردّ الظلم إلى مسببيه، ولم يعرفوا أسباب حلمه ولم يردّوا له حقّاً، وسرعان ما نسي هؤلاء الحبّ الذي يكنّه لهم الشاعر.

(٤) سوف يحلّ محلّ حلم الشاعر جهل ينتج عنه دماء تسيل في كلّ مكان فيشمل الحواضر والبوادي.

(٥) النجاد: حمّالات السيوف. وصل تهديد الشاعر أقصى ما يمكن من تخويف لهؤلاء الذين أنكروا الجميل وكفروا به، حتى إن السيف سيملّ وسيسأم كتفاه من حمل السيوف لكثرة ما سوف يصل من هؤلاء.

وَقَــدْ شَــاهَــدْتُــمُ، فــي يَــوْمِ طَــيٍّ،
فِـعَـالِـي، بِـالـمُـهَـنّـدَةِ الـحِـدَادِ[١]

رَدَدْتُ الــخَــيْــلَ خَــالِــيَــةً حَــيَــارَى
وَسُـقْـتُ جـيَـادَهـا وَالـسّـيْـفُ حـادي[٢]

وَلَــوْ أنّ الــسِّــنَــانَ لَــهُ لِــسَــانٌ،
حَـكـى كَـمْ شـكّ دِرْعـاً بـالـفُـؤادِ[٣]

وَكَــمْ داعٍ دَعَــا فــي الــحَــرْبِ بــاسـمـي
وَنـادانـي فَـخُـضْـتُ حَـشَـا الـمُـنـادي[٤]

لَـقَـدْ عَـادَيْـتَ يـابـنَ الـعَـمّ لَـيْـثـاً
شُـجَـاعـاً، لا يَـمَـلُّ مِـنَ الـطِّـرَادِ[٥]

يَــرُدُّ جَــوَابَــهُ قَــوْلاً وَفِــعْــلاً،
بـبـيـضِ الـهِـنْـدِ وَالـسُّـمْـرِ الـصِّـعَـادِ[٦]

---

(١) يذكر الشاعر بني زياد بما فعله في يوم طيّ من أفعال، وكيف كان تقتيله في رجالهم، وهو يُعمل السيف في رقاب القوم.

(٢) خالية: أي لا فرسان يمتطونها. في ذلك اليوم قدر عنترة على القوم، فقتل فرسانهم وساق خيولهم وقد تخلّوْا عنها؛ فهم إما قتلى وإما أنهم قد فرّوا من سيفه جبناً ورعباً، وسيفه يزغرد أغنية النصر.

(٣) حتى رمح عنترة قد حاز على قسطه من النّصال، وللأسف فإنه لا ينطق حتى يخبرهم بما حدث له، ولقد مزّق دروعاً اخترقت قلوب العديد من المقاتلين، فلم تمنعهم دروعهم بل خرّوا صرعى.

(٤) كثير من الجبابرة الشجعان لم تواتهم شجاعتهم، وهم ينادون عنترة باسمه للمبارزة فكان أمرهم إلى تباب، وقد مزّق صدورهم بما لديه من سلاح.

(٥) يوجّه الشاعر لومه إلى ابن عمّه، فقد عادى أسداً ضِرغاماً، صَبوراً في الحروب، مجرّباً لا يملّ، والويل ثم الويل لمن يُعاديه.

(٦) إن الشاعر يفهم لغة واحدة لغة السلاح، فجوابه قول يتبعه فعل سرعان ما يتحقّق؛ سيوف هندية ورماح سمهرية مستوية مثقفة لا اعوجاج فيها.

فَـكُـنْ يـا عَـمْـرُو مِـنْـهُ عَـلـى حِـذَارٍ
وَلا تَـمْـلأ جُـفُـونَـكَ بـالـرُّقَـادِ[١]
وَلَـوْلا سَـيِّـدٌ فـيـنَـا مُـطَـاعٌ،
عَـظـيـمُ الـقَـدْرِ مُـرْتَـفِـعُ الـعِـمَـادِ[٢]
أقَـمْـتُ الـحَـقَّ بـالـهِـنْـديّ رَغْـمـاً،
وَأظْـهَـرْتُ الـضَّـلالَ مِـنَ الـرَّشَـادِ[٣]

إذا قام سوق لبيع النفوس

قال عند خروجه إلى العراق في طلب النوق العصافيرية، مهر عبلة:

[المتقارب]

أرْضُ الـشَّـرَبّـةِ شِـعْـبٌ وَوَادِي،
رَحَـلْـتُ، وَأهْـلُـهـا فـي فُـؤادِي[٤]
يـحـلّـونَ فـيـهِ وَفـي نـاظِـرِي،
وَإنْ أبْـعَـدُوا، فـي مَـحَـلّ الـسَّـوَادِ[٥]

(١) يوجّه الشاعر تهديده لعمرو أن يحذر من الأسد، ويجعله يعيش دائم الخوف ساهراً قلقاً أن عنترة له بالمرصاد ليلاً نهاراً.

(٢)، (٣) وما يمنع عنترة من التسرّع أن ثمّة سيداً مطاعاً لديه يجعله يتريّث وهو عظيم في بني قومه يقصده كلّ محتاج لا يعصيه يسارع إلى إقامة عدالته، واستعمل سيفه الهنديّ رغماً عن الجميع، ولحلّ مكان التعقل استعمال السلاح، فنزل بساحتهم الموت والخراب.

(٤)، (٥) إنها الأرض، أرض الوطن، حيث ولد ونشأ عنترة، تركها مرغماً في سبيل تحقيق أمل وبلوغ مجد، وفي نفسه حبّ لترابها وأهلها فالقلب مفعم بحبّ عبيرها وحلو ذكرياتها. فهم العين استحال كلّ هؤلاء إلى رموز وصور تذكار، وبالذات في حال بعدهم وبعده عنهم، فبهم يرى، فهم سوادها الذي راح يتقلّص شيئاً فشيئاً حتى استحالوا سوادها أساس نظره.